

حجاب رؤية 2030 جناية الشركات الاستشارية في السعودية

مركز طوى للدراسات

[/https://touacenter.com](https://touacenter.com)

2024

حجاب رؤية 2030

جناية الشركات الاستشارية في السعودية

وحدة البحوث - مركز طوى للدراسات السعودية

الوصفة النيوليبرالية للأزمة الاقتصادية في بلدان تعاني من مرض الإعتدال شبه الكلي على مصدر وحيد للدخل تعود إلى بداية الثمانينات الميلادية، مدفوعة، نظرياً على الأقل، برغبة التخفيف من أعباء الدولة وإشراك القطاع الخاص في تحمّل جزء من مسؤولية النهوض بالإقتصاد الوطني. ومع أن النتائج بدت في المرحلة الأولى مشجّعة، ولكنّ المآلات كانت صادمة، وتسببت بكوارث اقتصادية واجتماعية وسياسية في أكثر من بلد حول العالم، بحسب نعومي كلاين في كتابها (عقيدة الصدمة).

وقد لعبت شركات الاستشارات المالية والاقتصادية دوراً مركزياً في تعميم تلك الوصفة على بلدان كثيرة في العالم. وكان ينظر إليها، وهي نظرة لا تزال شائعة حتى اليوم، على أنها "المنقذ" من الإنهيار الاقتصادي.

تجربة المستشارين

ولابد من التحذير ابتداءً من تأثيم حصري للشركات الاستشارية الحديثة، ذات الطابع الاقتصادي والمالي، خصوصاً في بلد أدمن حكامه على الاستعانة بالمستشارين الأجانب. فكان اللجوء إلى المستشارين من غير أهل البلد بدأ قبل قيام الدولة السعودية الحديثة سنة 1932، وهنا تحضر أسماء مثل النقيب وليام هنري شكسبير الذي عمل وكيلاً سياسياً بريطانياً في الكويت من عام 1909 حتى مقتله في يناير سنة 1915 في معركة جراب الى جانب قوات عبد العزيز

بن سعود. وقد عمل شكسبير على إقامة أول علاقات رسمية بين بريطانيا وابن سعود، وكذلك جون فيلبي (ت 1961) وكان مقرباً من الملك عبدالعزيز وكان مستشاراً له غير رسمي للشؤون الخارجية، ولعب دوراً رئيساً في المفاوضات مع بريطانيا وأمريكا بعد اكتشاف النفط عام 1938، وكذلك في قيام شركة أرامكو.

وبعد الأزمة المالية الأولى التي شهدتها الاقتصاد السعودي في الفترة ما بين 1956 - 1958 نتيجة انخفاض إيرادات النفط إلى أقل من 300 مليون دولار فيما زادت النفقات الحكومية ما أدى إلى اختلال التوازن المالي بشكل كبير فيما تراجع النقد الأجنبي وفشل الرقابة عليه بعد فرضها في يوليو 1957 وتالياً انخفاض سعر صرف الريال السعودي مقابل الدولار الأميركي من 3.75 إلى 6.25 ريال. فلجأت الحكومة السعودية إلى الإقتراض محلياً من مؤسسة النقد، ومن بنوك أميركية بضمانات من أرامكو وبلغ إجمالي القرض 1433 مليون ريال، فيما كان دخل الدولة في عام 1959 لم يتجاوز 1355 مليون ريال ما أدى إلى خلل في ميزان المدفوعات، بلحاظ أن الاستيراد يتم تمويله بالدولار أو العملات الصعبة وهي إلى جانب الذهب والفضة من أصول مؤسسة النقد التي لم تكن قادرة على تغطية سوى ما يربو قليلاً عن عشرة في المئة من النقد المتداول. وهنا تدخل صندوق النقد الدولي وأجرى اتصالاته مع السلطات السعودية من أجل العمل على حل الأزمة المالية، وفق آليات الصندوق. وفي العام 1957 زار وفد من صندوق النقد برئاسة الرئيس التنفيذي لإدارة الشرق الأوسط في الصندوق أنور علي (باكستاني الجنسية)، والرئيس التنفيذي لدائرة الدولة العربية في صندوق النقد الدولي أحمد زكي سعد (مصري الجنسية)، فتم تعيين أنور علي محافظاً لمؤسسة النقد العربي السعودي محل رالف ستاندش الذي كان خلفاً لأول محافظ لمؤسسة النقد جورج بلور، الذي عُين عند إنشاء مؤسسة النقد عام 1952، وعُين أحمد زكي سعد فيما بعد رئيساً تنفيذياً للسعودية في صندوق النقد الدولي.

وضع أنور علي وأحمد زكي خطة التعافي المالي للسعودية في سياق برنامج أطلق عليه "برنامج الاستقرار المالي" ويقوم على ركنين: توازن الميزانية وتثبيت سعر صرف الريال. وفي حقيقة الأمر، أنّ هذا الفريق الذي جاء بهوية اسلامية وعربية لم يكن سوى التمويه الخادع لبداية ربط الإقتصاد السعودي بالفلك الرأسمالي الأميركي، الذي يجعل مصير ليس الريال فحسب بل والاقتصاد السعودي برمته بمصير الدولار والاقتصاد الأميركي.

وفي عام 1968 تمّ تعيين هشام ناظر، وزير النفط الأسبق، رئيسًا للهيئة المركزية للتخطيط، بمرتبة وزير، وقام بالاستعانة بفريق بحثي من معهد ستانفورد للبحوث في الولايات المتحدة بهدف إعداد أول خطط تنمية خمسية وتمّ تكليف فريق من جامعتي هارفارد و إم آي تي لمراقبة عمل الفريق المعني بوضع الخطط الخمسية، وكانت تلك بوابة أخرى لدخول المؤسسات الاستشارية الأجنبية للبلاد إلى جانب صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وجيش من المستشارين في حقول أخرى (سياسية وعسكرية وأمنية ومالية..) من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وغيرها..

على أية حال، فإن الاستشاريين الأجانب ليسوا بالضرورة موضع ترحيب من قبل أهل الدار، في بلد محافظ ويأنف من الغرباء، كيف إذا كانوا يحملون مشاريع استعمارية أو يخدمون أجنداث غير وطنية. وهذا يفسّر المدن المعزولة التي كان الموظفون الأميركيون يقيمون فيها داخل البلاد، في رأس تنورة والظهران وأماكن أخرى على الرغم من الإنفتاح النسبي في البيئات الاجتماعية القريبة من هذه الكانتونات السكنية الأجنبية.

وتحليقًا إلى مرحلة التحوّل الاقتصادي واطلاق رؤية السعودية 2030، يحاول ولي العهد محمد بن سلمان بالصلاحيات المطلقة وغير المسبوقة التي بحوزته كسر الصورة النمطية عن المملكة بإيصالها الى مرحلة الإنفتاح الشامل، بما يجعلها بلدًا جاذبًا للأجانب سياحة وإقامة. ولكن يبقى أن ما يفصل بين الحلم والواقع هوّة مالية سحيقة، بالنظر إلى فشل جملة من مشاريع المدن الكبرى

وفي طليعتها مدينة الملك عبد الله التي كان يفترض أن تشكل إنذارًا مبكرًا لابن سلمان قبل خوض غمار مشاريع مماثلة، بل وبأحجام غير مسبوقة.

يضاف إلى ذلك، إن تعويل صندوق الاستثمارات العامة على الاستشارات المالية التي تقدّمها ماكينزي وأضرابها لا يعني ضمانات نهائية بنجاح الاستثمارات الجزئية أو الكلية محليًا وخارجيًا، فنحن أمام سوق عالمية عرضة للتقلبات، وقد نصحو على كساد عالمي كالذي أصاب الولايات المتحدة في عام 1929 و2008. وبخصوص أزمة الائتمان العقاري في عام 2008، فإن دول الخليج تضررت على نحو فادح كونها تمتلك ما يقرب من 3 تريليونات دولار وجزء كبير منها مودع في المؤسسات المالية الأميركية المتعثرة.

وإذا كانت المملكة السعودية حافظت على مستوى من الاستقلالية الاقتصادية في العقود الماضية نتيجة الهيمنة إلى حد كبير على بعض القطاعات الإنتاجية مثل النفط ومشتقاته والذي منحها استقرارًا ماليًا فإن المغامرات التي يقوم بها محمد بن سلمان وفريق المستشارين المحليين والأجانب بناء على استشارات مالية لا تراعي حاجات المواطنين والأخطار المستقبلية المترتبة نتيجة الأعباء المالية الباهظة الملقاة على المشاريع المقترحة، سوف تقود إلى انكشاف اقتصادي خطير وأن ما جمع من أموال منذ العام 2003 سوف تختفي للأبد، وسوف يمتد الخطر إلى الاحتياطي الاستراتيجي سواء من النفط أو المعادن والذهب والعملات الصعبة.

ماكينزي.. العسل المسموم

يعود عمل شركة (ماكينزي آند كومباني) الأميركية في المملكة السعودية إلى عام 1957 وكان لديها تركيز خاص في هذا البلد منذ عام 2000¹. كان لهذه الشركة دور محوري في صوغ خطط التحوّل الاقتصادي في بلدان عديدة،

¹ Saudi Arabia Beyond Oil: The Investment And Productivity Transformation, McKinsey Global Institute (MGI), December 2015; <https://shorturl.at/kuOY6>

ومنها السعودية عبر رؤية 2030 التي أعلن عنها في أبريل 2016. تفاصيل كثيرة اشتملت عليها الرؤية، اقتصادية وإجتماعية وتشريعية وإدارية، وجميعها مؤسس على خطة تنويع القاعدة الاقتصادية والانتقال من الاقتصاد النفطي الريعي إلى الاقتصاد الانتاجي التعددي.

الوصفة الماكينزية انطوت على وعود بزخم تفاؤلي مرتفع، ربطاً بجملة من التغييرات المطلوبة والتمهيدية في هياكل الدولة ومؤسساتها وحتى مصادرها المالية ومواردها الطبيعية والبشرية. وفي واحدة من توصيات ماكينزي الواردة في تقرير صادر في الأول من ديسمبر سنة 2015 بعنوان (انتقال الاقتصاد السعودي إلى مرحلة ما بعد النفط) أن التحول الاقتصادي يتطلب وقوف القطاع الخاص والمستثمرين الأجانب والمواطنين السعوديين إلى جانب الحكومة. كما دعا موعدو التقرير الى "إيجاد مصادر جديدة للدخل كفرض بعض الرسوم والضرائب ورفع أسعار الطاقة محلياً"².

وتضمن التقرير بشارة في حال اختارت السعودية الوصفة الماكينزية وأن تحليل المعهد يشير إلى أن المملكة يمكن أن تضاعف ناتجها المحلي الإجمالي مرة أخرى وتخلق ما يصل إلى ستة ملايين وظيفة بحلول عام 2030، وهو ما يكفي لتوظيف مجموعة كبيرة من الشباب والشابات السعوديين الذين يدخلون سوق العمل على مدى الخمسة عشر عامًا القادمة، وسيطلب أن تتبنى السعودية تغييراً كبيراً في نموذج نموها الاقتصادي³.

وعرض تقرير ماكينزي الذي أعده مستشاروها المقيمون في المنطقة (الرياض ودبي على وجه الخصوص وشنغهاي وزيورخ للقطاعات التي يمكن الاستثمار فيها من أجل تنويع القاعدة الاقتصادية، والتي يجري تطبيقها حرفياً في الوقت الحالي. وبحسب التقرير:

² غسان الكبسي، جوناثان ووتزل، توم إشرود، جواد خان، جان ميشك، و حسان نورا: انتقال الاقتصاد السعودي إلى مرحلة ما بعد النفط، McKinsey Global Institute، 1 ديسمبر 2015، الرابط:

<https://www.mckinsey.com/featured-insights/employment-and-growth/moving-saudi-arabias-economy-beyond-oil/ar-AE>

³ Saudi Arabia Beyond Oil: The Investment And Productivity Transformation, op.cit

"إن الإمكانات الاقتصادية الجوهريّة التي تتمتع بها المملكة العربيّة السعوديّة تذهب إلى ما هو أبعد من النفط. وتتمتع المملكة بوفرة من الرواسب الغنيّة بالمعادن، بما في ذلك النحاس والذهب، التي تم اكتشافها منذ حوالي 3000 سنة. وهي تتمتع بمساحات طويلة من شواطئ البحر الأحمر والمواقع الأثريّة التي يمكن أن تصبح وجهات سياحية محليّة ودوليّة، إلى جانب المواقع الدينيّة في مكة والمدينة، كما تتمتع بقطاع تجزئة مزدهر وطبقة متوسطة شابّة بدأت في تبني التجارة الإلكترونيّة. ولديها سوق محليّة كبيرة للسلع الإستهلاكيّة المصنعة بما في ذلك السيارات التي لا يوجد بها أي إنتاج أو تجميع خاص بها، ومع ذلك فهي تتمتع بالقدرة والمواد الخام والطاقة الوفيرة لصنع العديد من المنتجات التي يمكن أن تشكل أساس قطاع التصنيع. وهي من الناحية الفعلية واحدة من أبرز اللاعبين على مستوى العالم في مجال البتروكيماويات، وهو القطاع الذي يجتذب استثمارات بمليارات الدولارات من قبل شركات أجنبيّة، بما في ذلك شركة رويال داتش شل وشركة البترول الوطنيّة الصينيّة"⁴.

ومن أجل تنمية هذه القطاعات واستغلالها هناك حاجة إلى استثمارات كبيرة جدًا ولكن هذا يتطلب استثمارات بنحو 4 تريليونات دولار، وأن ثمانية قطاعات تستطيع توليد 60% من ذلك النمو. ويمثل هذا ثلاثة أضعاف حجم الاستثمار الذي تم في الاقتصاد السعودي خلال الطفرة النفطية في الفترة 2003-2013، والذي كان في حد ذاته ثلاثة أضعاف الاستثمار في العقد السابق.

ما يلفت في التقرير أنه بنى تحليله على معطيات تبين لاحقًا أنها تبدلت بصورة دراماتيكية. على سبيل المثال، يذكر التقرير: "ليس لدى الحكومة ديون ولديها احتياطيّات ضخمة - نحو 700 مليار دولار نقدا وأصول ماليّة وغير ماليّة تزيد قيمتها كثيرًا عن ذلك - لكنها ستظل بحاجة إلى جذب رأس المال الخاص من الخارج ومن المستثمرين المحليين الذين لديهم أموالهم في أماكن أخرى. كما أنها ستحتاج إلى نظام مصرفي يشجع السعوديين على الادخار"⁵. والحال، أن

⁴ Saudi Arabia Beyond Oil: The Investment And Productivity Transformation, op.cit

⁵ Saudi Arabia Beyond Oil: The Investment And Productivity Transformation, op.cit

الدين الحكومي بلغ مستويات قياسية في مايو 2024 حيث سجّل 1.1 تريليون ريال سعودي (293.3 مليار دولار)، مسجلاً نموًا بنحو 16 % على أساس سنوي، فيما زاد بنحو 6.2% مقارنة مع الربع السابق من العام نفسه، بحسب وحدة التحليل المالي في صحيفة (الاقتصادية) السعودية⁶. ولناحية الاحتياطي من النقد تراجع صافي الأصول الأجنبية لدى البنك المركزي السعودي من 737 مليار دولار في أغسطس 2014 وبواقع 7.20 مليار دولار في فبراير 2024⁷. وأظهرت بيانات المركزي السعودي في 29 مارس 2024 انخفاض صافي الأصول الأجنبية لدى البنك إلى 1.545 تريليون ريال (411.96 مليار دولار) من 1.572 تريليون ريال في يناير. وانخفض صافي الأصول الأجنبية بنسبة 4.9 بالمئة على أساس سنوي في فبراير⁸.

أما على مستوى زيادة معدل التوظيف إلى حد توفير 6 ملايين وظيفة، فبعد مرور تسع سنوات على تقرير ما كينزي، والذي توقع أن تكون هذه الوظائف ناجزة في غضون خمس عشرة سنة، لم يتحقق منها سوى نسبة ضئيلة جدًا.

وعود جمّة أطلقها محمد بن سلمان منذ منتصف عام 2016، وتمّ تدوينها في رؤية 2030، ويستند جميعها على الاستشارات التي قدّمتها شركات ماكينزي وبوسطن جلوب وغيرهما.

واحدة من الأمثلة الساطعة على فشل الرهان على الاستشارات الأجنبية، الاستثمار في مشاريع على حافة الإنهيار مثل شركة لوسيد للسيارات الكهربائية ومقرها في كاليفورنيا والتي تستحوذ السعودية على 60 في المائة من ملكيتها.

⁶ الدين العام السعودي يتخطى تقديرات الميزانية مع زيادة الإنفاق ليصل إلى 1.11 تريليون ريال، صحيفة (الاقتصادية) 5 مايو 2024، الرابط: https://www.aleqt.com/2024/05/05/article_2723591.html

⁷ الأصول الأجنبية السعودية عند أدنى مستوى منذ 2011، الجزيرة نت، 7 يوليو 2017، الرابط: <https://shorturl.at/ejIN6>

⁸ تراجع صافي الأصول الأجنبية للمركزي السعودي 7.2 مليارات دولار، عربية Sky News، 29 مارس 2024، الرابط: <https://shorturl.at/ipwxD>

فقد تحوّل هذا المشروع الاستثماري الفاشل إلى ثقب أسود تختفي فيه الأموال السعودية، فهي تستهلك كل ما يرضه صندوق الاستثمارات السعودية، لتعويض خسائرها المتراكمة، ومع أنها حصلت على دعم إضافي مؤخرًا بقيمة 5.4 مليار دولار، وهذا مثال واحد على الصعوبات المالية الكبيرة التي تواجه الشركة كما يعكس في الوقت نفسه التخبط في القرارات المالية، حيث بات الصندوق مجرد ماكينة صرف آلي متنقل لانقاذ المشاريع المتعثرة أو الفاشلة.

إن لعبة الأرقام التي حسب محمد بن سلمان أنه نجمها تبين أنها لعبة خطيرة وقد يكون أول الخاسرين فيها. فلا وعده بالتخلي عن النفط بحلول العام 2020، ولا مشروع الشرق الأوسط الأخضر الذي أعلن عن محمد بن سلمان في 27 مارس 2021، بهدف مكافحة التغير المناخي عن طريق زراعة 50 مليار شجرة، فقد طويت صفحة "السعودية الخضراء" ومعها صفحة "الشرق الأوسط الأخضر"، وتم اختزال المشروع في "الرياض الخضراء" في عملية هبوط متدرج من فضاء المشاريع الخيالية، وصولاً إلى تقليص حجم طموحاته بشأن نيوم 2030 بنحو 75%، وهو أكبر مشروع ضمن خطط محمد بن سلمان لتنويع الاقتصاد.

وكانت الخطط المرسومة من مهندسين عالميين بناء على نصائح من الشركات الاستشارية من أمثال ماكينزي وبوسطن غلوب تفيد بأن مدينة ذا لاين من المقرر أن تستوعب 1.5 مليون نسمة في هذه المدينة المستقبلية المترامية الأطراف والمكسوة بالمرايا والتي ستكون جاهزة بحلول عام 2030. ولكن المسؤولين المعنيين بالمشروع خفّضوا التوقعات بصورة دراماتيكية إلى 300 ألف نسمة فقط بحلول 2030. وبعد أن كان بناء المدينة من المقرر أن يمتد على مساحة صحراوية بطول 170 كيلومترًا على امتداد ساحل البحر الأحمر، تم تقليصه ليصل إلى حدود 2.4 كيلومتر فقط من المشروع بحلول عام 2030⁹.

⁹ Saudis Scale Back Ambition for \$1.5 Trillion Desert Project Neom, Bloomberg, April 5, 2024; <https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-04-05/saudis-scale-back-ambition-for-1-5-trillion-desert-project-neom>

وبناء عليه، بدأت عمليات التسريح للعمال نتيجة تقليص المشاريع، فيما تقلص العمل في مشاريع نيوم بسبب الفشل في استقطاب المستثمرين الأجانب.

وفي كلمة خلال الاجتماع الخاص للمنتدى الاقتصادي العالمي تحت شعار "التعاون الدولي والنمو والطاقة من أجل التنمية"، اعترف وزير المالية السعودي محمد الجدعان في 28 أبريل 2024 بطريقة غير مباشرة بفشل الخطط المتعلقة برؤية 2030، وقال بأن إن المملكة ستعدل خطتها المتعلقة برؤية 2030 لتحويل اقتصادها وفقاً لما تقتضيه الحاجة، مما يقلص حجم بعض المشروعات ويسرع وتيرة مشروعات أخرى. وقال: "هناك تحديات، ليس لدينا غرور، سنغير المسار، سنناقلم، سنوسع بعض المشروعات، سنقلص حجم بعض المشروعات، وسنسرع وتيرة بعض المشروعات".

وكان صندوق النقد الدولي قد وضع في 18 أبريل 2024 سقفاً مرتفعاً لسعر النفط يصل إلى 100 دولاراً للبرميل كي تقاوم العجز في الميزانية السعودية سنة 2024¹⁰. من جهته ذهبت وكالة بلومبرغ ايكونوميكس إلى أن السعودية قد تحتاج إلى سعر 108 دولار للبرميل تمويل إنفاقها على استثمارات صندوق الاستثمارات العامة¹¹. وكان صندوق النقد قد توقع في وقت سابق من العام نفسه سعر برميل أدنى أي 92.8 دولاراً للبرميل من أجل مواجهة العجز.

إن الطموحات غير الواقعية لدى ابن سلمان والتي تتحمل شركات الاستثمارات الأجنبية جزءاً من المسؤولية عنها، قد تحولت إلى كوابيس متسلسلة، وأن غاية ما ظهر من مشروع نيوم حتى الآن هو مشروع بقيمة أكثر من 8 مليارات دولار لبناء مزارع للطاقة الشمسية وطاقة الرياح من أجل إنتاج الهيدروجين

¹⁰ صندوق النقد: السعودية تحتاج ارتفاع سعر النفط إلى 100 دولار للبرميل، جريدة الشروق، 18 أبريل 2024، الرابط:

<https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=18042024&id=c47f59c8-11b2-4629-9bb5-cdf7987d436b>

¹¹ Saudi Arabia Needs Oil Price Near \$100, IMF Says, Bloomberg, 18 April 2024;

<https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-04-18/saudi-arabia-needs-oil-price-near-100-amid-ope-cuts-imf-says>

الأخضر، مع أن انتاج الطاقة الشمسية والرياح لا تزال دون مستواها المطلوب قياساً حتى بدول أخرى لا تمتلك الامكانيات التي لدى السعودية مثل ايران وسوريا..

من الواضح أن مشاريع صندوق الاستثمارات العامة تحوّلت إلى نزيف دائم للمال العام، وألجأت الدولة الى زيادة الضرائب، والاقتراض من الداخل والخارج، وتقليص الانفاق الحكومي على مشاريع حيوية تخص المواطنين مثل الصحة والتعليم.

وبعد أن بدأت تنضب مصادر التمويل المحلية، لجأ محمد بن سلمان إلى مصادر خارجية مع عزوف المستثمرين الاجانب عن مغامرة الدخول الى السوق السعودية التي تعاني من اضطرابات وتقلبات حادة. ولا يزال مستوى تدفق الاستثمارات الاجنبية دون المستوى بكثير، وبلغ متوسط تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر السنوية إلى المملكة بين عامي 2017 و2022، ما يزيد قليلاً عن 17 مليار دولار أمريكي وتظهر البيانات الأولية لعام 2023 أن الاستثمار الأجنبي المباشر أقل من الهدف، عند حوالي 19 مليار دولار، بحسب بيان لوزارة الاستثمار. وبحسب احصائية أعدها موقع "مباشر" السعودية استناداً لبيانات البنك المركزي السعودي "ساما" فقد صافي تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الداخل للاقتصاد السعودي خلال الربع الثالث من عام 2023 نحو 7.99 مليار ريال (2.13 مليار دولار)، مقابل تدفقات صافية بلغت 7.13 مليار ريال (1.9 مليار دولار) في الربع المماثل من عام 2022¹². ويعد هذا الرقم زهيد جداً قياساً الى توقعات وحاجة المشاريع السعودية للتمويل، ولذلك لجأت الحكومة إلى التمويل الذاتي، وقامت باصدار سندات بمليارات الدولارات للمساعدة في سد العجز المالي لعام 2023 والذي بلغ نحو 22 مليار دولار¹³.

¹² صافي الاستثمار الأجنبي المباشر بالسعودية يرتفع إلى 2.1 مليار دولار بالربع الثالث، مباشر، 1 يناير 2024، الرابط: <https://shorturl.at/eloUZ>

¹³ 80 مليار ريال عجز الميزانية السعودية في 2023 والإيرادات غير النفطية ترتفع 11 %، جريدة (الشرق الأوسط) 14 فبراير 2024، الرابط: <https://shorturl.at/tCFH7>

ليست نيوم وحدها التي باتت تترنح نتيجة النقص الشديد في مصادر التمويل، فهناك مشاريع أخرى باتت عرضة للفشل، مثل مدينة القدية الترفيهية، بالقرب من العاصمة الرياض، والذي خصّص لها أكثر من تريليون دولار أمريكي من قبل صندوق الاستثمارات العامة. وكان السؤال الذي ثبت على السنة الخبراء الاقتصاديين والماليين: من أين سيأتي محمد بن سلمان بكل الأموال المطلوبة لتنفيذ هذه المشاريع؟ وبحسب ديفيد دوكينز من شركة بريكين لبيانات الاستثمار ومقرها لندن في تحليله للسوق السعودي: "هذه المشاريع باهظة الثمن إلى حد الجنون"¹⁴.

صندوق الاستثمارات العامة الذي كان يسيطر على أصول تبلغ حوالي 900 مليار دولار، لم يكن لديه سوى 15 مليار دولار فقط من الاحتياطات النقدية حتى سبتمبر 2023. وكان الصندوق قد أعلن في عام 2022 عن خسارة بلغت 15.6 مليار دولار بسبب تراجع قيمة استثمارات الصندوق في "سوفت بنك فيغن" بالإضافة إلى تضرر المشاريع التقنية الأخرى بسبب تدهور السوق.

وبسبب عزوف المستثمرين الأجانب، اضطرت السعودية إلى وضع عينها على ثروات الدول الشقيقة، حيث طلبت من الكويت ما يزيد عن 16 مليار دولار لتمويل نيوم ومشاريع أخرى. ولم يتضح ما إذا كانت الكويت قد استجابت للطلب السعودي مع تجاربة سابقة لديها تمنع من المغامرة بأرقام هائلة، كما توجّهت السعودية في 17 أبريل 2024 إلى الصين من أجل دعوة شركاتها للاستثمار في مشاريع نيوم، ونظمت جولة عالمية تعريفية بعنوان "اكتشف نيوم" شملت الصين بحضور أكثر من 500 من قادة الأعمال والصناعة، ومشاركة 100 شركة بناء صينية، وعلى ما يبدو، فإن محمد بن سلمان يتطلع لتكثيف مشاركة الصين في مشاريع نيوم المتعثرة، مع أن التكنولوجيا المصمّمة لمشاريع نيوم

¹⁴ Saudi Crown Prince MBS's \$100 Billion Foreign Investment Quest Falts, Bloomberg, 4 April 2024; <https://www.bloomberg.com/news/articles/2024-04-04/saudi-crown-prince-mbs-100-billion-quest-for-foreign-investment-falts>

هي أميركية بدرجة أساسية. وعلى ما يبدو، فإن ما يطمع به محمد بن سلمان هي الأموال الصينية وليست الصناعة الصينية. ولذلك فإن ما تحقق في الجولة السعودية في مديني بكين وشنجهاي لم يتجاوز البعد الدعائي، ولم يتم توقيع أي اتفاق ثنائي حتى الآن. بالمثل، زار معرض نيوم المتنقل أيضاً سيول، وطوكيو، وسنغافورة، ومدينة نيويورك، وبوسطن، وواشنطن العاصمة، وميامي، ولوس أنجلوس، وسان فرانسيسكو، وباريس، وبرلين، ولندن، ولكن لا معطيات حتى الآن حول نتائج الجولات، على مستوى استقطاب المستثمرين أو حتى إعلان أي شركة أجنبية عن استعدادها للمشاركة في مشاريع نيوم.

مكر الخصخصة

وصفة "الخصخصة" كما تقترحها الشركات الاستشارية تكاد تكون اللقاح الذي يحمل في مكوّناته داء قاتل. وما يجدر التنبيه عليه دائماً والتحذير منه أن الخصخصة ليست نقل جزءٍ من أعباء الدولة إلى المجتمع، وإنما بيع مؤسسات الدولة وثرواتها إلى شركات مملوكة للعوائل الحاكمة. وثمة أمثلة كثيرة في السنوات الأخيرة على وضع محمد بن سلمان يده على قطاعات تمثل مصادر الدخل الرئيسية للدولة، مثل أرامكو التي يجري خصخصتها بصورة تدريجية لتكون جزءاً من ممتلكات صندوق الاستثمارات العامة التي يرأس محمد بن سلمان مجلس إدارته، والذي بات بمنزلة الصندوق الأسود الذي لا يعرف أحد عن الكتلة النقدية الحقيقية التي بحوزته. شهية "الخصخصة" مفتوحة على قطاعات أخرى كثيرة التعليم والصحة والتقنية والطيران، والعقار، والتجزئة، والفندقة والسياحة. وهذه قطاعات تعتمد على دعم الدولة، أي استغلالها لتعزيز مكاسب الشركات العائلية وتوسعها على حساب الدولة نفسها التي تضعف تدريجياً لتنهض مكانها شركات عائلية تقوم مقام الدولة. إن الخدعة الدارجة أن خصخصة المؤسسات الخاضعة للدولة من شأنها تحسين أدائها وتطوير أدوارها تهدف إلى تبرير سيطرة شركات العوائل الحاكمة على القطاعات الربحية

التابعة للدولة، ولا يعني ذلك أن تلك المؤسسات العامة كانت تعمل بكفاءة عالية، والسبب في ذلك أن العوائل المالكة/الحاكمة كانت السبب في إهمالها إذ كانت تتعامل معها على أنها خارج محافظتها الاستثمارية، ولكن حين وضعت اليد عليها أحالت منها مشاريع استثمارية، وفرضت على المواطنين تسديد ثمن ما تحصل عليه من خدمات سواء صحية أو تعليمية أو سياحية أو خدمة عامة..

إن بنية الاقتصاد السعودي وفق رؤية 2030 مصممة على أساس أن يكون للقطاع العام حصة الأسد من سوق العمل المحلية، حيث يوظف هذا القطاع نحو 70 بالمئة من القوة العاملة الوطنية. لذا يعني التحول إلى الخصخصة نهاية هيمنة العمالة الأجنبية، التي تشكل أكثر من 80 بالمئة من القوة العاملة في المملكة¹⁵. ولكن كما أسلفنا قبل قليل فإن الرهان على الخصخصة لإنتاج وظائف مغرية بالنسبة للمواطنين غير صائب، لغياب الحوافز المشجعة، وتالياً رجحان كفة القطاع العام الذي يكفل وظائف بأجور عالية وأوضاع مريحة.

وهنا جاء دور الشركات الاستشارية مثل ماكينزي أند كومباني وبوسطن جلوب وغيرها المعنّية أساساً بتنمية الرساميل على حساب الانتاجية والتنمية المستدامة، ولذلك ليس مستغرباً ارتفاع المنسوب الاستهلاكي في الدول التي قبلت بوصفات الخصخصة، فأصبحت النزعة النفعية دليلاً على كل مشروع وشخص وسلعة، وبها تتحدد الجدوى، وعن طريقها أيضاً جرت إعادة هيكلة الاقتصاد، وهو ما يجري العمل عليه في السعودية وبلدان أخرى في المنطقة في سياق "صرعة النيوليبرالية" التي أصابت اقتصاديات العالم.

في كل الأحوال، إن الرؤية الاقتصادية التي قدّمتها شركة ماكينزي من أجل اخراج الاقتصاد السعودي من عقدة "الواحدية" إلى "التعددية"، وهبتها صلاحيات واسعة في توجيه السياسات الاقتصادية الوطنية، واختراق "السيادة" الاقتصادية للدولة، إلى قدر جعل منها أحد صنّاع القرار المؤثرين في البلاد. وقد يكون وجود شخص أجنبي مثل إيهاب خليل (جرى تجنيسه سابقاً) ليكون

¹⁵ ibid

عضوًا في مجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية يعد مؤشرًا خطيرًا. إن الإفراط في التفاؤل ونسج توقعات مبالغه قد لاقت صدى لدى محمد بن سلمان الذي صار يردد كثيرًا من "بشارات" ماكينزي الأمر الذي دفعه لأن يقتفي توصياتها بصورة شبه حرفية.

وبدا ذلك واضحًا بعد إعلان ولي العهد محمد بن سلمان عن خصخصة شركة أرامكو في سبتمبر 2016، والذي تسبب في صدمة في الأوساط المحلية، وأدى إلى اعتقال أكثر من خبير اقتصادي محلي مثل جميل الفارسي وعصام الزامل ووكيل وزارة المالية السابق عبد العزيز الدخيل وعشرات المثقفين والخبراء الاقتصاديين الذين تمّ اعتقالهم في سبتمبر 2017 لمجرد مطالبتهم بعدم التفريط بالإحتياطي الاستراتيجي للثروة الوطنية المتمثل في أرامكو.

وكان الزامل، الذي عمل في برمجيات شركة أرامكو، قد حذر في فيديو له على تطبيق السناب شات من أن بيع أسهم أرامكو سيعني من دون شك بيع النفط الخام تحت الأرض، و قال أن هذا النفط ملك للشعب كله ولا يمكن أخذ هذا القرار دون موافقة الجميع، وتوقع فشل طرح أرامكو في الأسواق العالمية. وفي سلسلة تغريدات على تويتر قال عصام الزامل إن تقدير قيمة أرامكو بتريليوني دولار الذي أشار إليه الأمير محمد سيتطلب من السلطات ضم الإحتياطيات النفطية للشركة في عملية البيع. وهذا ما حصل حيث ألغت السلطات السعودية خطط الطرح العام الأولي لأسهم أرامكو.

وفي حوار مع موقع (بلومبرغ) في 4 أبريل 2016 عرض محمد بن سلمان خطة التحول الاقتصادي لبلاده ربطًا ببيع حصة من أرامكو، وقال بأن عملية البيع ستساعد على إنشاء صندوق مالي سيادي قيمته تريليونا دولار كجزء من "رؤية 2030" لتنويع الاقتصاد وجعل الاستثمارات المصدر الرئيسي للإيرادات الحكومية بدلًا من النفط، وقال بأن الخصخصة يمكن أن تحدث في أقرب وقت، بحلول عام 2017، مع طرح أولي لـ 5% من أسهم الشركة¹⁶.

¹⁶ Saudi Arabia's Deputy Crown Prince Outlines Plans: Transcript, Bloomberg, 4 April 2016;

ولكن التعقيدات التي أحاطت بمكان إطلاق الطرح والقيمة الإجمالية التقديرية للشركة دفع إلى تأجيل الطرح عدة مرات في الفترة من 2016 -2019، إلى أن استقر الرأي على طرحها فقط في الأسواق المحلية، وتأجيل الطرح في الأسواق الدولية إلى أجل غير مسمى.

على نحو العموم، سادت حالة إرباك في أعقاب إعلان محمد بن سلمان عن طرح حصة من أرامكو للبيع في الأسواق العالمية في يناير 2016، وهذه واحدة من الجنايات الفادحة التي ارتكبتها شركة ماكينزي، التي رفعت شعار الخصخصة وهي من اقترحت خطة خصخصة أرامكو، بحسب تقرير أعدته الشركة، ودعت السلطات السعودية الى "تغيير عقليتها" بنقل الاعتماد اقتصاديًا من كاهل القطاع الحكومي إلى قطاع خاص قوي، وتوقع التقرير أن يعتمد الاقتصاد السعودي بحلول 2030 بنسبة 84% على القطاع الخاص.

في دراسة أكاديمية نشرها موقع (Maudlin Economies) في 4 أبريل 2020 خلصت إلى أن المتغيرات المالية لا تزال بطيئة قياسًا إلى متطلبات السوق ولا بد من تطوير القطاع المالي في سبيل توجيه عائدات النفط إلى المشاريع الإنتاجية، وتمكين القطاع الخاص من المساهمة بشكل كبير في النمو الإقتصادي للبلاد، في سياق الإبتعاد عن قطاع النفط المهيمن¹⁷.

ولأنّ النظام السعودي يعتمد في استقراره السياسي على ملائته المالية، فإن المال يمثل واحدة من أهم أسرار الأمن القومي السعودي. ومنذ تأميم أرامكو بصورة كاملة عام 1980 كانت الموارد المالية الداخلية للدولة مبهمة. وكانت أرامكو تتردد في نشر مثل هذه المعلومات لأن نجاحها المالي أمر محوري للغاية لقدرة السلطات السعودية على الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي في المملكة وتطوير جيش قوي. وفي السياق نفسه، كانت ميزانياتها العامة من

<https://www.bloomberg.com/news/articles/2016-04-04/saudi-arabia-s-deputy-crown-prince-outlines-plans-transcript>

¹⁷ Mohammad Imdadul Haque, The Growth of Private Sector and Financial Development in Saudi Arabia, Mauldin Economies, 5 April 2020; <https://www.mdpi.com/2227-7099/8/2/39>

أسرار الدولة الحساسة للغاية. ولذلك، كان الانفتاح الجديد، بما في ذلك طرح أرامكو للاكتتاب العام بما يتطلبه من الكشف عن بعض الحقائق المالية الحساسة للرأي العام، يكشف أمرين على درجة بالغة من الأهمية. الأول: أن اتجاه التطورات المالية أجبر الحكومة على التفكير في خطوات جذرية، بما في ذلك فرض ضرائب على السلع ورفع الدعم والانتقال من اقتصاد ريعي إلى اقتصاد جبائي، والثاني: أن مثل هذه الإجراءات التي تقوم بها حكومة محمد بن سلمان تنطوي على مخاطر يمكن أن تهدد بقاءه¹⁸.

بطبيعة الحال، لم تكن خطة الخصخصة امتيازًا حصريًا بالسعودية، فقد تدافعت اقتصاديات كبرى في العالم نحو الخصخصة على أساس أنها المسار الحتمي من أجل تخفّف الدولة من أعبائها، وتمكين القطاع الخاص من لعب دور في العملية التنموية الداخلية، مع أن النتائج لم تأت بالضرورة متطابقة مع التوقعات، خصوصًا في ظل غياب السلطة الرقابية على أداء عمل الشركات الخاصة، فضلًا عن الانكشاف المالي والاقتصادي الخارجي الذي يفتح الباب أمام منافسين من خارج الحدود للدخول إلى السوق المحلية وتثمير الامكانيات المحلية لمصلحتها على حساب المصالح الوطنية العليا.

إن التحديات الاقتصادية التي شهدتها دول الخليج والتي فرضت عليها إعداد خطط راديكالية وإنقاذية من أجل التحرر من هيمنة النفط على الاقتصاد المحلي، سمحت لدخول شركة الاستشارات الأميركية ماكينزي وتقديم "وصفات" اقتصادية من شأنها توجيه الدول الخليجية نحو مسار يمكن الشركات الغربية (والأميركية على وجه الخصوص) من الهيمنة على اقتصادياتها. في عام 2016، لعب المستشارون دورًا بارزًا في المساعدة في صياغة خطط التحول الاقتصادي للسعودية لدرجة أن وزارة الاقتصاد والتخطيط لُقت بوزارة ماكينزي نظرًا لعلاقات الشركة الوثيقة بالحكومة. إن خطط التحول الاقتصادي

¹⁸ Saudi Arabia—a Failing Kingdom By George Friedman and John Mauldin, Mauldin Economics, vista.sahafi.jo , 8 March 2016;
<http://vista.sahafi.jo/art.php?id=1fcd14a2431f934d4a772c057e986ad00bd63ca8>

التي اقترحتها ماكينزي من أجل تنويع القاعدة الاقتصادية وتحريرها من الاعتماد على النفط إلى "اقتصاديات غنية ومتنوعة" تفضي في نهاية المطاف من تغيير وجهة الاعتماد وشكلها فحسب، فبعد أن كانت تعتمد على مبيعات النفط وشراء ما تحتاجه من مصانع الغرب، أصبح بإمكان المصانع والشركات الغربية أن تأتي بنفسها إلى الأسواق المحلية.

الأشد خطورة في عمل شركة ماكينزي، وشركات الاستشارات الأجنبية عمومًا، أنها عطّلت الطاقات الوطنية في وضع الخطط الاقتصادية بما ينسجم مع حاجات البلاد وثقافة وتقاليد العباد، وكأن الدولة السعودية التي أنفقت مئات المليارات من الدولارات على التعليم الجامعي في تخصصات مختلفة نظرية وتطبيقية أشعلت النار في جبال من الأوراق المالية بصورة عبثية، واختارت أن تأتي بشركات أجنبية لانقاذها من ورطتها، وتالياً الوقوع في حبال المؤسسات المالية الدولية التي تفرض شروطها وخططها التي تعرّض اقتصاديات الدول إلى خطر الإنهيار، كما هي حال الوصفات النيوليبرالية عمومًا.

إيهاب خليل.. المستشار الملك

ولأن شركات الاستشارات الأجنبية غير ملزمة بأي تشريعات محلية، فهي فوق القانون وخارج المسائلة، ويحق لها ما لا يحق لغيرها من المؤسسات الاستشارية المحلية. ولأنها "أجنبية"، فهي تحصل على امتيازات خاصة مالية ولوجستية واعفاءات قانونية وضريبية، فضلاً عن الأموال الباهظة التي تحصل عليها مقابل ما تقدّمه من استشارات. وبحسب تقرير لوكالة (بلومبرغ) صادر في أكتوبر 2022 أن خطة استخدام صندوق الثروة السيادي السعودي ساعدت في خلق عوائد بقيمة 1.8 مليار دولار لشركات الإستشارات العالمية. ويرد إسم إيهاب خليل، الشريك الأول في مجموعة بوسطن الاستشارية، بصفته أحد الأمثلة على نفوذ المستشارين الأجانب في المملكة السعودية. ومع أن إيهاب

وسيط قوي ولكنه يعمل من وراء الكواليس وله دور فعّال في عمل صندوق الاستثمارات العامة منذ البداية. وأن ياسر الروميان، محافظ الصندوق يستمع باهتمام له لناحية الآراء التي يقدّمها خلال الاجتماعات الداخلية بشأن إستراتيجية عمل الصندوق. أبعد من ذلك، فإن خليل يتصرف كما لو أنه حاكم المصرف المركزي، ولديه نفوذ أكثر من مسؤولين كبار في الصندوق بل وفي الوزارات المعنية برؤية السعودية 2030، وازداد نفوذه منذ منحه الجنسية السعودية إلى جانب جنسيته اللبنانية¹⁹.

ويبقى خليل المسؤول الإستراتيجي الأعلى في الصندوق مقارنة بنظرائه، وفي 10 أغسطس سنة 2020 أصدرت وزارة العدل الأميركية بيان تسجيل الوكلاء الأجانب الصادر سنة 1938، حيث تم تسجيل خليل لدى الولايات المتحدة كوكيل أجنبي لمجلس الشؤون الاقتصادية والتنمية، الذي يرأسه ولي العهد محمد بن سلمان، والتسجيل موقع من خليل بتاريخ 28 مايو 2020²⁰. وهذا يعطي خليل نفوذًا واسعًا داخل أعلى سلطة اقتصادية في المملكة، خصوصًا بعد حصوله على الجنسية السعودية في نوفمبر 2021.

شغل خليل منصب أول مدير إداري لوحدة الخدمات المالية لكبار المستثمرين والأسهم الخاصة في مجموعة بوسطن للاستشارات منذ يونيو 2022 في الامارات، وكان يعمل في مكاتب المجموعة في دبي عفى تقديم الخدمات الاستشارية المتخصصة للمؤسسات الاستثمارية وصناديق الثروة السيادية والمصارف والشركات العائلية على المستوى الاقليمي.

وكانت شركة بوسطن كونسولتينغ غروب (BCG) قد نفت أن يكون إيهاب خليل، وهو مدير إداري أول في الشركة، تصرف بأي شكل من الأشكال نيابة عن صندوق الاستثمارات العامة وأنه "يقدم المشورة لصندوق الاستثمارات العامة"،

¹⁹ Saudi Arabia's Super Fund Leans on Influence of BCG Power Broker, Bloomberg, 17 October 2022; <https://www.bloomberg.com/news/articles/2022-10-17/saudi-arabia-s-super-fund-leans-on-influence-of-bcg-power-broker>

²⁰ <https://efile.fara.gov/docs/6851-Short-Form-20200810-4.pdf>

ويقسّم وقته بين الرياض ودبي. وتعد السعودية واحدة من أكبر أسواق بوسطن كونسولتينغ غروب (BCG) ، بفعل علاقاتها الوثيقة مع صندوق الاستثمارات العامة ومحافظة ياسر الروميان. وبحسب مصادر بلومبرغ فقد تم تعيين ما لا يقل عن 100 مستشار للعمل مع هيئة الاستثمارات العامة السعودي ومجموعة كبيرة من المستشارين من بوسطن كونسولتينغ غروب (BCG) . وفي نشرة صادرة عن صندوق الاستثمارات العامة، فإنها استخدمت العديد من شركات الاستشارات الدولية بما يتماشى مع المؤسسات المالية المماثلة. وردّ الصندوق على أسئلة بلومبرغ: "لا يوجد شيء غير عادي في هذا الاستخدام للشركات".

الشباب.. الاستزبان الجديد

إن تركيز رؤية 2030 على مشاركة الشباب في اقتصاد السوق المشروط بزيادة دور القطاع الخاص، هو التحدي الأكبر للاقتصاد السعودي. وبحسب التقرير الاحصائي الصادر عن الهيئة العامة للإحصاء لسنة 2020 فإن الشباب للفئة العمرية (15-34 سنة) يمثلون 36.7% من إجمالي السكان²¹.

ويعد القطاع الحكومي الموظف الأول والأكثر للمواطنين حيث بلغ عدد السعوديين العاملين في القطاع الحكومي بحسب تقديرات نشرت في سبتمبر 2023 إلى 631 ألفاً أي ما نسبته 89%، ويتركزون في المؤسسات الخدمية الحكومية، فيما لا تزال نسبة المواطنين في قطاعي التعليم الجامعي والرعاية الصحية متدنية. أما على مستوى القطاع الخاص فقد ذكر المرصد الوطني للعمل احصائية عن إجمالي العاملين في القطاع الخاص وهي 11.05 مليون عامل خلال شهر يناير 2024. وأن إجمالي المواطنين العاملين في القطاع الخاص خلال شهر يناير بلغ 2.33 مليون مواطن سعودي، 1.38 مليون منهم ذكور، و952.38 ألف منهم إناث، فيما بلغ إجمالي المقيمين العاملين في القطاع

²¹ الشباب السعودي بالأرقام، الهيئة العامة للإحصاء في السعودية ، الشباب السعودي بالأرقام، 2020،

https://www.stats.gov.sa/sites/default/files/saudi_youth_in_numbers_report_2020ar_0.pdf

الخاص 8.73 مليون مقيم غير سعودي²². في الواقع، إن هذه الإحصائيات تخفي حقائق أخرى يصعب التعرف عليها من خلال السجلات الرسمية، وإنما من خلال مقارنة المرتبات الشهرية بالمستويات المعيشية، إضافة إلى الأساليب الملتوية التي تتبعها شركات القطاع الخاص من أجل التهرب من قرار "السعودة"، حيث يجري الاتفاق مع المتقدمين لوظائف من المواطنين على تلقي مرتبات شهرية متدنية مقابل تسجيل أسمائهم في قائمة لوائح وهمية من الموظفين المحليين لتحقيق شروط نسبة السعودة المطلوبة في شركات القطاع الخاص. يضاف إلى ذلك نفور كثير من المواطنين من العمل في شركات القطاع الخاص لأسباب باتت معروفة: تدني الرواتب (يفضل أرباب الشركات الخاصة العامل الأجنبي لكلفته المنخفضة)، خشونة الأعمال المطلوبة (تركيز القطاع الخاص على البناء والتشييد والمعدات الثقيلة والعمل في ظروف بيئية صعبة)، وقلة الحوافز وانخفاض مستوى الأمان الوظيفي في الشركات الخاصة. وهذا يفسر سبب ارتفاع نسبة العمال الأجانب في القطاع الخاص، والذين تصل نسبتهم إلى 80%²³.

ومع ذلك، فإن وصول عتبة 6 ملايين وظيفة في غضون خمس عشرة سنة كما توقعه تقرير ماكينزي في عام 2015 بات حلمًا بعيد المنال، وإن سوق العمل لم يستوعب من المواطنين في أعلى الأرقام سوى 167 ألف في نوفمبر 2023²⁴.

تجدر الإشارة إلى أن رؤية 2030 تركز بشكل خاص على مشاركة الشباب. وتضم هذه الفئة العمرية - تحت سن الثلاثين - 19 مليون، من إجمالي السكان البالغ عددهم 28 مليون نسمة، وهذا يستلزم دخول أكثر من مليوني مواطن في

²² عدد العاملين بالقطاع الخاص السعودي يتجاوز 11 مليونًا في يناير لأول مرة، أرقام، 5 فبراير 2024، الرابط:

<https://www.argaam.com/ar/article/articledetail/id/1702830>

²³ Simona Sikimic , Saudi Arabia's new economic vision: Oil free by 2020?, Middle East Eye, 26 April 2016;

<https://www.middleeasteye.net/news/saudi-arabias-new-economic-vision-oil-free-2020>

²⁴ 167 ألف سعودي انضموا إلى سوق العمل خلال عام، صحيفة (الشرق الأوسط) 27 نوفمبر 2023، الرابط:

<https://shorturl.at/dqR59>

قوة العمل سنويًا، على مدار العقد القادم²⁵. ولكن لا تقدّم المؤشرات الاقتصادية ما يفيد بإمكانية الوصول الى ربع هذا الرقم حتى عام 2030، مع أن المشاريع السياحية التي يقيمها صندوق الاستثمارات العامة في مدن متفرقة من البلاد تعتمد على الشباب بصفتهم الكتلة الزبونية الأكبر لتغطية نفقات المشاريع.

الاستراتيجية الغامضة

على الموقع الالكتروني لصندوق الاستثمارات العامة لا وجود لتفاصيل عن استراتيجية عمله، مكتفياً بعناوين لمبادرات تندرج ضمن ما أسماها الركيزة الاستراتيجية وفق أربعة محاور للاستثمار المحلي:

- انشاء وتطوير القطاعات على نطاق واسع

- تنويع مصادر الإيرادات

- الاستفادة من إمكانيات الموارد

- تحسين جودة الحياة

واكتفى الصندوق بتسليط الضوء على 13 قطاعًا يوليهم الصندوق اهتمامًا استثماريًا مثل الطيران والدفاع ومركبات النقل والخدمات اللوجستية والأغذية والزراعة ومواد وخدمات البناء والتشييد والترفيه والسياحة والرياضة والخدمات المالية والقطاع العقاري والمرافق الخدمية والطاقة المتجددة والتعدين والرعاية الصحية والسلع الاستهلاكية والتجارية والاتصالات والتقنية²⁶.

شخصية محورية في صندوق الاستثمارات العامة كان لها دور كبير في صوغ استراتيجية عمل الصندوق هو دينيس جونسون، كبير الاستراتيجيين وكان

²⁵ Hilal Khashan, Saudi Arabia's Flawed "Vision 2030", MIDDLE EAST QUARTERLY, WINTER 2017 • VOLUME 24: NUMBER 1; <https://www.meforum.org/6397/saudi-arabia-flawed-vision-2030>

²⁶ برنامج صندوق الاستثمارات العامة، 2021 - 2025 ، ص ص 38 - 39 أنظر الرابط: <https://www.pif.gov.sa/ar/strategy-and-impact/the-program>

يشغل منصب كبير الاستثماريين بشركة تيا "TIAA" قبل التحاقه بالصندوق، وشغل مناصب قيادية في عدد من الشركات والمؤسسات الاستثمارية العالمية، من بينها: "سي تي جروب" (Citigroup)، صندوق كالبيرس "نظام التقاعد للموظفين العموميين في كاليفورنيا" (CalPERS)، شركة كومريكا (Comerica)²⁷. ولكن جونسون ترك منصبه سنة 2020 بعد عامين من العمل في الصندوق، وخلفه تشاد ريتشارد مدير إدارة تطوير الاستراتيجية والتكامل في الصندوق، وعبد الله السالم رئيس الاستراتيجية والتخطيط²⁸.

وبعد مقتل الصحفي الحجازي جمال خاشقجي في نوفمبر 2018 واجهت الشركات الاستشارية تحديات حول تعاملها مع دولة ضالعة في جريمة قتل خارج القانون. وكانت السيناتور الأميركية إليزابيث وارن (ديمقراطية من مساشوستس) قد تقدّمت في 15 نوفمبر سنة 2018 بطلب إجابات من كبرى الشركات الاستشارية حول الخدمات المقدمة للحكومة السعودية في أعقاب مقتل خاشقجي. وطلبت السيناتور معلومات عن شركة Booz Allen

Boston Consulting Group (BCG) و Booz Allen Hamilton و Deloitte تطلب فيها معلومات عن نطاق الخدمات التي تقدمها الشركات الاستشارية الثلاث إلى الحكومة السعودية أو أي جهة تابعة للحكومة السعودية. وفي رسالة بعثت بها الى الشركات عن علاقتها بالحكومة السعودية وسألت عن أعمالها مع المملكة في أعقاب اغتيالها المتعمّد للصحفي والمقيم في الولايات المتحدة جمال خاشقجي.

بوز ألين، التي يقال إنها تدرب البحرية السعودية بينما تواصل الحرب مع اليمن، تقدم أيضاً المشورة للجيش السعودي ولديها اتفاقية لحماية أنظمة الحكومة

²⁷ Dennis A. Johnson, CFA, CFA Society New York; <https://cfany.org/speaker-organizer/dennis-a-johnson-cfa/>

²⁸ Saudi Arabia's Super Fund Leans on Influence of BCG Power Broker, Bloomberg, 17 October 2022; <https://www.bloomberg.com/news/articles/2022-10-17/saudi-arabia-s-super-fund-leans-on-influence-of-bcg-power-broker>

من الهجمات الإلكترونية. وبحسب ما ورد تقدّم مجموعة BCG المشورة لمؤسسة ولي العهد الأمير محمد بن سلمان ولديها عقد للمساعدة في إصلاح أنظمة المشتريات بوزارة الدفاع السعودية وتحسين تعاملها مع الشؤون المالية والموظفين. وتتمتع شركة ديلويت بحضور تجاري كبير في المملكة السعودية وهي شريك في مؤتمر "مبادرة مستقبل الاستثمار في السعودية"²⁹.

وتلقت الرسالة إلى أن بوز ألين وبي سي جي اعترفتا بأنهما وضعتا بعض القيود على عملهما لصالح الحكومة السعودية، فيما أعربت السيناتور عن قلقها بشأن استمرار علاقة الشركتين مع الحكومة بعد مقتل خاشقجي والعمليات العسكرية السعودية المستمرة في اليمن والتي ساهمت في الكارثة الإنسانية التي شهدتها طيلة سنوات.

وكتبت السيناتور: "إن حكومة المملكة السعودية تسكت المنتقدين بوحشية، بما في ذلك جمال خاشقجي، وتواصل الانخراط في حملة قصف في اليمن أدت إلى مقتل آلاف المدنيين، ودفعت الملايين إلى حافة المجاعة، وأثارت إدانة في جميع أنحاء العالم تقريباً...بالنظر إلى الإجراءات الأخيرة التي اتخذتها المملكة، يبدو أن العلاقات التجارية المستمرة بين شركاتكم مع هذه الحكومة لا تتوافق ليس فقط مع القيم الأمريكية ولكن مع مبادئكم المعلنة".

ومن أجل الحصول على محاسبة كاملة وشفافة للخدمات الاستشارية التي تقدمها الشركات للحكومة السعودية، طرحت السيناتور وارن سلسلة من الأسئلة حول عقود الخدمات الاستشارية للشركات مع الحكومة السعودية والكيانات التابعة لها بين عامي 2013 و2018، وسألت عما إذا كانت وتعترم الشركات الاستثمار في ممارسة الأعمال التجارية مع المملكة السعودية بالنظر إلى نمط سلوك الحكومة، وطلبت من الشركات الرد على أسئلتها بحلول 30 نوفمبر 2018.

²⁹ Transform KSA Saudi Arabia's Vision 2030, Deloitte, A Middle East Point of View - Summer 2018, Real Estate and Construction; <https://shorturl.at/orvV6>

وفي رسالة مماثلة إلى شركة ماكينزي أند كومباني طلبت السيناتور وارن تقديم محاسبة كاملة وشفافة لكيفية تمكين عمل شركة ماكينزي للمملكة من قمع المنتقدين وارتكاب انتهاكات أخرى لحقوق الإنسان. ومنذ ذلك الحين، ظلت ماكينزي على اتصال بمكتب السيناتور وتقول إنهم يعملون على تقديم إجابات على استفساراتها³⁰.

ولكن لا يبدو أن السيناتور وارن حصلت على إجابات من الشركات الاستشارية سالفة الذكر، وعلى ما يبدو فإن الحكومة السعودية ضاعفت الرسوم المدفوعة لهذه الشركات من أجل تعويضها عن خسائر محتملة بسبب معاملاتها مع دولة باتت موضع نقد المجتمع الحقوقي. ولأن تعيين مستشارين خارجيين أيضاً يعد موضوعاً حساساً في المملكة السعودية فإنها تلجأ عادة إلى السرية لإخفاء هوية الأشخاص العاملين في مؤسساتها ووظائفهم.

لناحية أعمال الاستشارات، فإن مقتل الصحافي الحجازي جمال خاشقجي عام 2018 ترك تداعيات مالية كبيرة، وضاعف الرسوم، حيث فقد معدل النمو البالغ 19% في سوق الاستشارات في السعودية وجميع دول الخليج الأخرى وفقاً لشركة سورس جلوبال ريسيرتش Source Global Research. ومن المتوقع أن يتوسع سوق الاستشارات في دول مجلس التعاون بنسبة 11 في المائة ويتجاوز إيراداته 6 مليارات دولار لعام 2024 مع أن الطلب على الاستشارات تقلصت إلى حد كبير على المستوى العالمي. وهذا التوسع المتوقع للسوق الإقليمية يأتي بعد ارتفاع الإيرادات عام 2023 بنسبة 13.2 في المائة لتصل إلى 5.4 مليار دولار، مقارنة بتباطؤ النمو في الأسواق العالمية الأخرى. على مستوى السوق السعودية، الأكبر على المستوى الخليجي، فإن سوق

³⁰ Warren Seeks Answers from Major Consulting Firms about Services for Saudi Government, Elizabeth Warren Official website, Nov 15, 2018; <https://www.warren.senate.gov/oversight/letters/warren-seeks-answers-from-major-consulting-firms-about-services-for-saudi-government>

الاستشارات نما بشكل أسرع من السوق ككل في عام 2023 بنسبة 18.2 في المائة، حيث وصلت الإيرادات إلى مستوى قياسي قدره 3.2 مليار دولار³¹.

إن الرهان الذي يضعه ولي العهد وفريقه الاقتصادي على شركات الاستشارات الأجنبية، وعلى رأسها ماكينزي أند كومباني وبوسطن جلوب وغيرهما يتعاضم عامًا بعد آخر، ما يزيد في تعقيد المشهد الاقتصادي الداخلي، وينطوي على مخاطر مستقبلية كبيرة، بلحاظ دور الشركات الاستشارية المركزية غير المحايد في علاقات السعودية مع الولايات المتحدة، حيث تضع أولوية المصالح الأميركية على أي اعتبارات أخرى، وهذا ما ظهر جليًا في تعهد الرئيس الأمريكي جو بايدن بإعادة تقييم العلاقات مع السعودية، بعد قرار منظمة أوبك بلس بخفض الإنتاج.

في خلاصات ما سبق عرضه يظهر أن مجمل الاخفاقات التي شهدتها مشاريع الاستثمار التي قادها صندوق الاستثمارات العامة لا تفسير منطقي لها سوى أنها لم تستند على تقديرات واقعية لسوق لا يحتمل هذا النوع من المشاريع في ظل انقطاع مقصود عن السير الطبيعي والموضوعي لاقتصاد يراد تحويله بطريقة الصدمة. ولذلك، فإن أحلام رؤية 2030 تتلاشى تدريجيًا وإن تخفيف العبارة التي أطلقها الجدعان حول تبدل سياسات الإنفاق هي ليست سوى محاولة للهروب من المسؤولية عن الفشل الاقتصادي الكبير.

وعلى الرغم من التمسك بأن لا تغيير في المسار الذي بدأتها الرؤية وأن المدينة المستقبلية بقيمة 1.5 ترليون دولار لا تزال تسير على الطريق الصحيح، فإن التساؤلات لا تزال تثار حول مصادر التمويل، وعن الأنباء حول تقليص كثير من المشاريع نتيجة المشاكل المالية.

³¹ Aarti Nagraj, GCC consulting market to hit \$6bn this year with hiring plans bucking global layoffs, NBusiness, April 10, 2024; <https://www.thenationalnews.com/business/economy/2024/04/10/gcc-consulting-market-to-hit-6bn-this-year-with-hiring-plans-bucking-global-layoffs/>

إن اعتراف الجدعان بإعادة النظر في بعض المشاريع لم يأت إلا بعد مرحلة طويلة من العناد والسير الأعمى في متاهات لا نهاية لها، وإنها تمثل بداية المراجعة والتراجع عن صفات الشركات الاستثنائية الأجنبية التي لاقت هوى لدى صانع القرار الاقتصادي الوحيد، أي محمد بن سلمان، ولكنها غدت أحلامه المستحيلة ودفعت بماليات الدولة إلى حافة الإفلاس.

انتهى ...